

مشكلة البناء الحضاري في فكر مالك بن نبي

The Problem of Civilizational Construction in the Thought of Malek Bennabi

د. ساعد محمد^{*1}، د. صافي مشري²¹ جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم (الجزائر)، dr.saad.mohamed.2021@gmail.com² جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم (الجزائر)، safimechri33@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2025/09/11 تاريخ القبول: 2025/11/10 تاريخ النشر: 2025/12/10

ملخص:

يرى مالك بن نبي أن الحضارة ليست مجرد تقدم مادي أو تراكم تقني، بل هي عملية شاملة تنبثق من تفاعل منظم بين ثلاثة عناصر رئيسية: الإنسان، الذي يمثل العنصر الفاعل بما يحمله من وعي وإرادة وقيم؛ والتراب، الذي يشير إلى الموارد الطبيعية والإمكانات المادية؛ والوقت باعتباره الإطار الزمني الذي يسمح بتراكم التجارب وتحقيق الإنجاز، وقد عبّر عن هذا التفاعل في معادلته الشهيرة: "حضارة = إنسان + تراب + وقت". وانطلاقاً من هذه الرؤية المتكاملة يُعدّ فكر مالك بن نبي مرجعية مركزية في فهم شروط النهضة وبناء الحضارة في شقيها الاجتماعي والاقتصادي، لا سيما في ظل الأزمات التي يشهدها العالم الإسلامي المعاصر، وهو ما يجعل من إعادة قراءة مشروعه وتفعيله ضرورة تاريخية ملحة.

كلمات مفتاحية: البناء الحضاري، النهضة، الإصلاح.

Abstract:

Malek Bennabi viewed civilization as more than mere material progress; it is a comprehensive process based on the organized interaction of three elements: man, soil, and time. Man is the active agent with awareness and values, soil represents resources, and time provides the framework for accumulating experience, he expressed this in his famous equation: "Civilization = Man + Soil + Time." His thought is a key reference for understanding the conditions of renaissance, especially amid the crises facing the Islamic world today, making a return to his project essential

Keywords: Civilizational Building; Renaissance; Reform.

1. مقدمة:

في الواقع لم يخلو العالم العربي والاسلامي من محاولات فكرية إصلاحية نهضوية تتسم بالواقعية والعلمية، فالظروف التاريخية التي مر بها العالم العربي والإسلامي حتمت ظهور رواد للإنتاج الفكري الاصلاحى التجديدي، بالرغم من اختلاف أفكارهم ومشاربهم الناجمة عن الصراع حول المنطلق الفكري النهضوي بين من اختار الأصالة والتمسك بالموروث والابتعاد عن كل ما هو قادم من فكر الآخرين، وبين من اقتنع بضرورة ترك الموروث الثقافي والفكري والانفتاح على الآخر دون ضوابط، انفتاح تذوب معه المقومات الاجتماعية ولا يراعي في ذلك الواقع الاجتماعي للمنطقة العربية والإسلامية .

غير أن هناك تياراً آخر من المفكرين ظهر حاول الجمع بين فكرتي الأصالة والمعاصرة من خلال الانطلاق من الأصالة كقاعدة خلفية للأفكار وأخذ الإيجابي من الآخر وتكييفه مع الواقع الاجتماعي، ومن أبرز هؤلاء نجد مالك بن نبي (1905-1973) ذلك المفكر العربي المسلم، ابن مدينة قسنطينة (الجزائر)، الذي ارتبط بواقعه الاجتماعي وانطلق منه للتنظير لمشروع إصلاحي نهضوي يهدف للوصول الى فكرة البناء الحضاري. من هذا المنطلق فإننا نهدف من خلال هذه الدراسة الى أن نسلط الضوء على مشكلة الحضارة والبناء الحضاري التي اعتبرها مالك بن نبي أساس بناء أي مشروع نهضوي أو تنموي، وذلك من خلال الإجابة على التساؤلات التالية:

. ما مفهوم الحضارة والبناء الحضاري لدى مالك بن نبي؟

. ما هي مقومات البناء الحضاري في نظره؟

. كيف يمكن لمشكلة الحضارة أن تكون منطلقاً في بناء مشروع النهضة ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات اعتمدنا على المنهج الاستقرائي الاستنباطي من خلال استقراء كتابات ومؤلفات مالك بن نبي، وكذا الاستعانة ببعض الدراسات التي حاولت التمعن في فكره.

كما ارتأينا أن نقسم هذه الدراسة الى ثلاث محاور أساسية، حيث سنتطرق في المحور الأول الى الحضارة والبناء الحضاري في فكر مالك بن نبي، أما في المحور الثاني سنتحدث عن معادلة الحضارة وفكرة التوجيه، فيما سنتطرق في المحور الثالث الى مقومات النهضة الحضارية لدى مالك بن نبي لاسيما في شقها الاقتصادي.

2. الحضارة والبناء الحضاري في فكر مالك بن نبي

لقد أدرك مالك بن نبي أن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارية، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها (بن نبي، 1986، صفحة 26)، فالتأمل في فكره يجد أنه انكب على محاولة معرفة مقومات نهضة الأمم والأسباب التي تؤدي إلى تخلفها وعلى اعتبار أنه عايش فترة الاستعمار الفرنسي بالجزائر وكذا الفترات الأولى للاستقلال ومشروع بناء الدولة المستقلة، فقد أثرت هذه المراحل في تفكيره، فالسياق التاريخي الذي عاش فيه مالك بن نبي المرتبط أساسا بظاهرة الاستعمار التي عانت منها الجزائر وأغلب بلدان المنطقة العربي والقطر الإسلامي ككل، لعب دوراً هاماً في إنتاجه الفكري، فالتخلف وتردي الأوضاع على جميع المستويات، هو ما حفز التفكير الناقد لمالك بن نبي ودفعه الى التعمق في البحث عن أسباب هذا التخلف والانحطاط الفكري والاقتصادي .

1.2 مفهوم الحضارة في فكر مالك بن نبي:

تأثر بن نبي بالحركات الإصلاحية لاسيما الأفكار الإصلاحية لابن باديس في الجزائر وأفكار محمد عبده وجمال الدين الافغاني التي انتشرت في العالم الإسلامي، غير أن الجديد في طرح مالك بن نبي هو طرحه لمفهوم مغاير ألا وهو مفهوم مشكلة الحضارة التي

خصص لها عدداً من مؤلفاته وأضحت مرجعاً لكثير من الدول التي اتخذتها كدستور مجتمعي لبناء اجتماعي ناجح ولنا في النموذج الماليزي خير مثال (صولة و يونس، 2018).
رفض مالك بن نبي النظر إلى الحضارة على أنها شكل من أشكال التنظيم للحياة البشرية لأي مجتمع من المجتمعات، إذ يرى أن هذا المفهوم عام يفتقر إلى الدقة، حيث يتساءل هل شكل التنظيم المجتمعي الذي ورثه الجزائريون عن الاستعمار الفرنسي يعد شكلاً من أشكال الحضارة (بن نبي، 1991، صفحة 28).

ويحصر مالك بن نبي مفهوم الحضارة بمتغيرين اقتصاديين ألا وهما التخلف والنمو، إذ يعتبر أن النمو المتصاعد هو المظهر المادي للحضارة فالقدرة الاقتصادية هي التي تميز المجتمع وتصنفه ضمن المجتمعات النامية، كما أن الحضارة تعطي للمجتمع النامي المالك للقدرات الاقتصادية إرادة استخدام هذه القدرة في حل المشاكل التي تواجهه (جيلالي، 2010، صفحة 37).

في السياق ذاته يربط مالك بن نبي المظهر الاقتصادي للحضارة بالمفهوم العام لها فيعتبر "أنها مجموع الشروط الاخلاقية و المادية التي تتيح للمجتمع أن يقدم لكل فرد من أفرادها في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه" (جيلالي، 2010، صفحة 37)، فهي بذلك عامل مساعد على التقدم والدافع لإشاعة ثقافة العلم والاستفادة من الإنسان والوقت .

2.2 أهم محاور الحضارة في فكر مالك بن نبي

في كتابه ميلاد مجتمع يُبرز مالك بن نبي فكرة صناعة التاريخ ويربطها بالعلاقات الاجتماعية حيث يرى أن "صناعة التاريخ تتم تبعا لتأثير طوائف اجتماعية ثلاث:

أ- تأثير عالم الأشخاص

ب- تأثير عالم الأفكار

ج- تأثير عالم الأشياء (بن نبي، 2013، صفحة 26).

حيث يعتبر أن الترابط و التوافق في عمل هذه العوالم الثلاث هي التي تُجسم صورة الحضارة، "فعالم الأفكار يقدم النماذج و الافكار الإيديولوجية، التي تنفذ بوسائل من عالم الاشياء، فيما يحدد عالم الاشخاص الغايات" (بن نبي، 2013، صفحة 27).

ومنه فان أهم محاور الحضارة التي أبرزها مالك بن نبي انحصرت في ضرورة تكوين العوالم الثلاث:

أ. تكوين عالم الاشخاص :

وهنا تساهم الفكرة الدينية في تنشئة أفراد المجتمع على مبدأ الانتماء، وهو ما يؤدي الى زيادة التلاحم بين أفرادها، وأبرز مثال هو ما قام به النبي محمد صلى الله عليه و سلم غداة الهجرة الى المدينة من مآخاه بين المهاجرين والأنصار والتي اعتبرت انطلاقة تكوين الدولة، في حين يعتبر غياب اللحمة والتآخي بين افراد المجتمع أول مؤشر لانهايار الحضارة، فالدولة العثمانية انهارت نتيجة انهيار القيم وتلاشي الكيان الاجتماعي، وفي هذا الصدد يستحضر مالك بن نبي حديث رسول الله "توشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة الى قصعتها قالوا أمن قلة نحن يومئذ يراسل الله؟ قال لا بل انتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل"، وهنا يحلل مالك بن نبي هذا الحديث ويعتبره استحضاراً لصورة العالم الاسلامي بعد أن تتمزق شبكة العلاقات الاجتماعية وتحوله الى تجمعات لا هدف لها (بن نبي، 2013، صفحة 27).

فمنطلق تكوين عالم الاشخاص هو غرس روح الجماعة بين الأفراد ونبذ النزعة الفردانية فالفرد الذي تقوم عليه الحضارة لابد ان يكون تفكيره ضمن تفكير السياق الاجتماعي العام القائم على التفاعل والتكامل وهي مؤشرات ينذر غيابها بتفكك المجتمع وانهيار الحضارة .

لقد أولى بن نبي لهذا المحور اهتماما خاصا لأنه منطلق البناء الحضاري، فتكوين افراد متلاحمين في المجتمع يسد الثغرات المؤدية الى تفتيته ويمكن من الوصول الى المجتمع المبدع والخلاق الذي يشيد البناء الحضاري (ضيف الله، 2005، صفحة 80).

ب . تكوين عالم الافكار:

يرتبط تكوين عالم الافكار عند مالك بن نبي ارتباطا وثيقا بالمرحلة الاولى وهي تكوين عالم الاشخاص، فتركيب شخصية الفرد وصياغتها تنطلق من مشروع الافكار الواجب تكوينها في المجتمع للانطلاق بالمشروع الحضاري، فمرحلة تكوين الافكار تعتبر كمرحلة وسيطة بن مرحلي تكوين الاشخاص والأشياء، فالأفكار هي الضابط بين عالم الاشخاص وعالم الاشياء (بن نبي، 1988، صفحة 58).

إن تكوين افكار بناءة وهادفة أهم عامل للوصول الى البناء الحضاري، هذه الافكار تترسخ في عقل الافراد وتشكل بنية اجتماعية تدفع الى الهيكل المادي للحضارة (الاقتصاد) فمثلا النبي محمد صلى الله عليه وسلم قام بتكوين عالم الأفكار في المجتمع الاسلامي في المدنية، وهي افكار ترسخت في الضمير الجماعي للمسلمين بحيث لا يمكن الخروج عنها، هذه الافكار كانت بالفعل منطلق لبناء حضاري لاحق.

ويضرب ابن نبي مثالا عن المجتمع الياباني و الالماني بعد الحرب العالمية الثانية، والحالة التي خرج بها هذين المجتمعين بعد خسارة الحرب، فقد كانا في حالة نقص في عالم الاشياء ويقصد به الوضعية الاقتصادية المتدهورة، غير ان تشبعهم بعالم الافكار جعلهم يعيدون انتاج عالم الاشياء واعادة النهوض الاقتصادي، بخلاف المجتمع الإندونيسي الذي كان غنياً بالموارد المادية المطلوبة للنهضة (عالم الاشياء)، وبالرغم من اتخاذهم من النموذج الالماني كخارطة طريق للبناء الحضاري غير أنهم فشلوا بالنظر للعوز في الافكار في هذا المجتمع (شاويش، 2007، صفحة 87).

ج - تكوين عالم الأشياء:

في فكر بن نبي عالم الأشياء هو التجسيد الميداني لنجاح العالمين السابقين (عالم الاشخاص وعالم الافكار)، فالتكامل و التفاعل بينهما يؤدي الى تكوين عالم الأشياء الذي ما هو الى تجسيد حقيقي لمظهر من مظاهر الحضارة ألا وهو المظهر الاقتصادي .

فالاقتصاد في فكر مالك بن نبي هو الشكل المادي للحضارة فقوة الاقتصاد توجي بوجود بناء حضاري متكامل، ولا يتأتى هذا الى من خلال مبدأ العمل الذي أكد عليه بن نبي من اجل تحقيق النهوض المادي الاقتصادي، يقول ابن نبي "أن الصين تقدمت بسرعة مرموقة لأنها طبقت منذ اللحظة الاولى في خطط تنميتها مبدأ الانتكال على الذات اي بالتعبير الاقتصادي مبدأ الاستثمار الاجتماعي من الانسان الصيني والتراب الصيني والزمن المتوفر في كل أرض (بن نبي، 1987، صفحة 76).

3. معادلة الحضارة (ناتج حضاري = انسان + تراب + وقت)

صاغ مالك بن نبي معادلته الشهيرة - ناتج حضاري = إنسان + تراب + وقت- (بن نبي، 1986، صفحة 44)، وربطها بمتغير الدين أو ما أسماه الفكرة الدينية أو العنصر الأخلاقي الذي يعطي لها دفعا من اجل التجسيد على ارض الواقع، ولكي نفهم هذه المعادلة لابد لنا ان نفهم ماذا قصد مالك بن نبي بأطراف المعادلة وهي :

1.3 الانسان :

يولي بن نبي اهمية قصوى للإنسان باعتباره محور التحدي الحضاري، فيعتمد الى تكوين الانسان من اجل تكفله بمهمة البناء الحضاري ومن ثم الوصول الى الانسان الحضاري ويفرق مالك بن نبي بين الانسان البيولوجي والانسان الاجتماعي هذا الأخير هو محور التحرك الحضاري "فإذا تحرك الانسان تحرك المجتمع و التاريخ واذا سكن سكن التاريخ والمجتمع" (بن نبي، 1979، صفحة 27).

2.3 التراب :

يميز مالك بن نبي مظهرين للتراب المظهر القانوني المتصل بصورة الملكية القانونية للأرض والمظهر الفني المتصل بالصورة التقنية للأرض (سعود، 2006، صفحة 222)، ويدعوا الى ضرورة استخدام العلم والتقنيات العلمية في حل المشاكل التي قد تواجه التراب كمشاكل التصحر والجفاف، وهنا يعطي مالك بن نبي نموذج استخدام الفرنسيين للعلم من أجل مواجهة مشكلة الرمال في المحيط الاطلسي والتي تم مواجهتها والتغلب عليها بل وتحويلها من مشكلة اقتصادية الى دافع اقتصادي لتصبح منطقة اقتصادية وسياحية بامتياز (بن نبي، 1986، صفحة 135) .

كما يربط بن نبي أيضا مشكلة التراب بعامل الاستقرار، فالإنسان عندما يستقر بتراب ما يفرض عليه نمطا خاصا في الحياة الاجتماعية يُكوّن لديه مفهوم العمل اليومي الذي يتطور مع مرور الزمن ليصبح حضارة صناعية.

3.3 الوقت:

لقد تطرق مالك بن نبي الى الوقت في معظم كتاباته لما لهذا العنصر من اهمية بالغة في تكوين الحضارات، كما اعطى عدداً من النماذج الناجحة التي استغلت هذا العامل وانطلقت منه في بناء مشروعها الحضاري، كالنموذج الألماني والنموذجين السوفيياتي والصيني، فقد أدرك مالك قيمة الوقت في بناء الحضارات ودعا إلى إدخال مفهوم الزمن كقيمة اجتماعية في وعي الأفراد، من خلال عملية التربية والتنشئة الاجتماعية للفرد، فعندما يتحدد معنى الزمن في المخيال الاجتماعي يتحدد معنى التأثير والإنتاج.

4. فكرة التوجيه

هي أحد المفاهيم الأساسية في الفكر الحضاري لبن نبي والتي تعبّر عن الزامية إعطاء الفكر الإنساني وجهةً صحيحةً لتحقيق النهضة الحضارية فالجهود العلمية و المادية وحتى الفكرية لا يمكن أن تؤتي ثمارها إلا إذا تم توجيهها توجيهاً صحيحاً نحو مبتغى حضاري

فغياب التوجيه يضيع الطاقات والجهود البشرية نحو مبتغيات عبثية، في هذا السياق يرى مالك بن نبي أن المشكلة ليست نقص الإمكانيات و الموارد، بل تكمن في طريقة توجيه هذه الموارد، وهنا يضرب مثالا بشخصين تم اعطائهما نفس الأدوات غير أن أحدهما ينطلق من فكرة واضحة وهدف محدد، بينما الآخر ينطلق دون هدف أو غاية أو خطة، فإن الأول سيبنى حضارة والثاني قد يخلق فوضى .

إن فكرة التوجيه تقوم على ضرورة توجيه ثلاث محاور مهمة وهي:

1.4 توجيه الثقافة:

عرف بن نبي الثقافة على أنها "مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرأس مال أولي في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة على هذا هي المحيط الذي يتلقى فيه الفرد طباعه وشخصيته" (بن نبي، 1986، صفحة 84)، و قد رأي بن نبي بأن الثقافة لا بد أن يتحدد محتواها من العناصر الجوهرية اللازمة لها وهي :

أ . **التوجيه الخلقي:** القائم على ضرورة توفر عنصر الأخلاق من أجل تكوين صلات اجتماعية قوية تزيد من تماسك المجتمع، حيث يرى بن نبي بأن الروح الخلقية منحة من السماء تأتي مع نزول الأديان عندما تولد الحضارات ومهمتها ربط الافراد بعضهم ببعض (بن نبي، 1986، صفحة 88)، ومن هنا يعيد مالك ابراز الفكرة الدينية و أثرها في تكوين البناء الحضاري .

ب . **التوجيه الجمالي:** يقصد به الذوق الجمالي دخل المجتمع والذي يوجه الانسان نحو التحضر، من خلال توجيه سلوكات الانسان والتي يكون فيها المنطلق الجمالي أحد محدداتها ومنابعها كالموسيقى والفنون، وهنا يبرز بن نبي الجمال كإطار عام لتكوين الحضارة وأيضا كمظهر من مظاهر الحضارة، فمثلا يمكن ملاحظة مدى تحضر المجتمع من خلال مدى محافظته على نظافة شوارعه وبيوته وغير ذلك .

ج . **المنطلق العملي:** يعني به ارتباط كيفية العمل بوسائله ومعانيه (بن نبي، 1986، صفحة 95)، ويقصد مالك بهذا ما أسماه بالعقل التطبيقي القائم على حسن الادارة فهذا

العقل التطبيقي هو ما يعطي الفاعلية في الاداء حتى لا يذهب العمل والجهد في العبث، ومنه فالمنطلق العملي عند مالك بن نبي مرتبط ارتباطا وثيقا بكيفية ادارة الوقت واستخدام الإمكانيات في سبيل الوصول الى البناء الحضاري، وهنا يعطي مالك بن نبي مثالا عن الرجل الأوروبي والرجل المسلم ويتساءل أيهما ذو نشاط وحركة دائبة، حيث يجيب على السؤال بقوله " ان الذي ينقص المسلم ليس منطق الفكرة ولكن منطق العمل والحركة فهو لا يفكر ليعمل بل ليقول كلاما مجرداً بل اكثر من ذلك فهو أحيانا يبغض أولئك اللذين يفكرون تفكيراً مؤثراً ويقولون كلاماً منطقياً من شأنه أن يتحول في الحال الى عمل ونشاط " (بن نبي، 1986، صفحة 96).

2.4 توجيه العمل:

يعتبره مالك بن نبي الحلقة الثانية من مشكلة الانسان بعد مشكلة توجيه الثقافة فالعمل يولد من العناصر الثلاث التي صاغها بن نبي (الانسان والتراب و الزمن)، والمقصود بتوجيه العمل هو توجيه الجهود الجماعية في اتجاه واحد في ظل منهج واضح قصد بلوغ مرحلة البناء الحضاري وتغيير واقع التخلف وخلق بيئة جديدة .

تختلف نظرة مالك بن نبي للعمل عن نظرة غيره لنفس المفهوم، فهو يقصد أشياء قد تكون في نظر البعض بسيطة لكنها في نظر بن نبي تكتسي اهمية بالغة " فإعطاء ثلاث حروف من الابدادية عمل وتقبل هذه الحروف عمل، و ازالة اذى عن الطريق عمل، وإسداء نصح عن النظافة أو الجمال - دون أن يغضب الناصح حين لا يصغى لنصحه- عمل، وغرس شجرة عمل، واستغلال اوقات فراغنا في مساعدة الآخرين عمل، وهكذا " (بن نبي، 1986، صفحة 107).

3.4 توجيه رأس المال:

يعتبر مالك بن نبي ان رأس المال آلة اجتماعية تنهض بالتقدم المادي، ويعرف رأس المال على أنه " المال المتحرك الذي يتسع مجاله الاجتماعي بمقتضى حركته ونموه في محيط الفرد وأقصى من المقدار الذي تحدده حاجاته الخاصة" (بن نبي، 1986، صفحة 111).

ويفرق مالك بن نبي بين الثروة ورأس المال، فالثروة التي يملكها الفرد من أموال وعقارات لا تعتبر رأس مال إلا إذا قام بتحريكها، وهنا صاغ بن نبي فكرة تحريك رأس المال وتوسيعه بما يؤدي الى خلق العمل والنشاط وإعادة خلق الثروة، غير أن تحريك رأس المال لابد أن يتم في إطار منهجي وتخطيط اقتصادي حتى نتفادى ضياع الثروة.

5. مقومات الانطلاق والنمو في فكر مالك بن نبي

إن المتابع لإسهامات مالك بن نبي الفكرية، يجده قد أولى فيها للاقتصاد جانباً كبيراً واعتبره المظهر المادي للحضارة، فلا يمكن وصف مجتمع بالحضارة دون وجود اقتصاد قوي يدل عليها، كما انه عدّد بعض المقومات التي يؤسس لنمو اجتماعي واقتصادي شامل نذكر منها:

1.5 التخطيط :

يقصد مالك بن نبي التخطيط في الميدان الاقتصادي، حيث يعتبر أن فكرة التخطيط تعبر بالضبط في هذا الميدان عن رغبة بعض البلدان أو بصورة أدق بعض المجتمعات التي أحست بتخلفها عن مجتمعات أخرى فصممت على أن تتدارك تخلفها هذا بطرق فنية متسارعة (بن نبي، 1978، صفحة 170).

والتخطيط يجب أن ينطلق من المبدأ الذي طرحه بن نبي "كل الأفواه تستحق قوتها وكل السواعد عليها العمل" وهو مبدأ يعبر عن ضرورة العمل، كما ان فكرة التخطيط يجب ان تكون مبنية على استغلال الوسائل المتاحة من المواد الخام وطبيعة النشاط السائد في المجتمع.

كما يُبرز بن نبي أهمية استغلال الواقع الاجتماعي في إعداد أي مخطط تنموي ناجح من خلال استغلال المورد المتاح وكفاءة الانسان الاجتماعي، فالتجارب السابقة أثبتت فشل المخططات التنموية المستوردة، بل يجب الاستفادة من تجارب الآخرين الناجحة وتكييفها مع الواقع الاجتماعي المحلي ف"أي مشروع نفكر فيه بأفكار الآخرين ونحاول انجازه بوسائل غيرهم معرض للفشل لامحالة (بن نبي، 1978، صفحة 172) .

2.5 ضرورة الاستثمار الاجتماعي قبل الاستثمار الاقتصادي :

يطرح مالك بن نبي فكرة الاستثمار الاجتماعي من خلال الاستثمار في الانسان وتكوين الانسان الفعال الساعي الى الحضارة ومن ثم تكوين مجتمع يؤمن بالحضارة ويسعى للنمو والتقدم الاقتصادي، هذا الاستثمار الاجتماعي سيؤدي حتما الى ظهور دافع اقتصادي من خلال قيمة العمل، ويضرب مالك بن نبي مثالا عن الاستثمار الاجتماعي بمدينة نيويورك في حالة تدميرها فهل تكفي الموارد المالية الاحتياطية الامريكية من اعادة اعمارها وبنائها؟ بالطبع لا، غير أن الاستثمار في الإنسان وبما سماه بن نبي الامكان الاجتماعي يجعل المجتمع الأمريكي قادراً على انجاز مئات المدن مثل نيويورك (بن نبي، 1987، صفحة 73) .

هنا تبرز أهمية تكوين عالم الافكار وعالم الاشخاص التي أقرها بن نبي كأسس لبناء الحضارة فتكوين الفرد في المجتمع وتنشئته على قيم العمل والاخلاق والجمال، وتكييف افكارنا مع هذه القيم يجعل المجتمع جاهزاً لمواجهة أي عقبات اقتصادية او اجتماعية فالاعتماد على المورد البشري أهم من الاعتماد على المورد المالي، بل أن المورد البشري المؤهل والمكون اجتماعيا هو من يحقق موارد مالية اقتصادية.

3.5 ضرورة استغلال اقتصاد القوت في التنمية :

يرى مالك بن نبي بأن المجتمعات في العالم الثالث لها خلفية نشاط تاريخية قائمة منذ القدم على الزراعة، حيث يؤكد على ضرورة استغلال هذا المعطى من اجل تحقيق اكتفاء ذاتي يطلق عليه تسمية "اقتصاد القوت"، بمعنى استغلال النشاط الزراعي

وتكثيفه من اجل ضمان قوت كل فرد في المجتمع و السعي من خلال ذلك الى تنشيط التجارة الخارجية من خلال تصدير الفائض في الانتاج الزراعي، مما يساهم حتما في دفع عجلة التنمية نحو اقتصاد تنموي "وهذا يعني من الناحية النظرية أنه لا يمكن تحقيق اقتصاد تنمية بطريقة مستقلة عن اقتصاد متين لتحقيق القوت" (بن نبي، 1978، صفحة 183).

ويضرب بن نبي مثالا بالتجربة الصينية التي انطلقت من استغلالها للمورد الاجتماعي والبشري المتاح من طاقات بشرية وظفتها من أجل تحقيق اقتصاد القوت، وبالرغم من الكثافة السكانية إلا أنها نجحت في الاكتفاء الزراعي الذاتي والمساهمة في دفع عجلة التنمية نحو تصدير الفائض الانتاجي وجلب العملة الصعبة .

4.5 فكرة التوجه نحو التكامل الاقتصادي:

يدعو مالك بن نبي الى تحقيق الاكتفاء الاقتصادي الذاتي القائم على أساس الاستثمار الاجتماعي و من ثم التوجه نحو الاقتصادي التكاملي في إطار جهوي، ويضرب مثالا بالدول الاوربية التي قامت بالتوحد في القرن الحادي عشر من أجل الحروب الصليبية ثم توحيدها في إطار الاتحاد الاوربي لمواجهة الاقتصاديات الكبرى كالولايات المتحدة، اليابان والصين وحتى يتحقق التكامل الاقتصادي يضع مالك بن نبي عاملين لنجاح هذا التكامل وهما الاتساع الجغرافي وعدد السكان.

ويعتبر مالك بن نبي من مؤيدي فكرة الاتحادات الاقتصادية وهو ما يظهر في العديد من كتاباته الداعية الى تشكيل فكرة الأفروآسيوية، أو تشكيل اقتصاد عربي متكامل كخطوة أولى يتبعها اقتصاد اسلامي في إطار ما دعا اليه في فكرة تشكيل كومنولث اسلامي.

كما يضرب بن نبي مثالا عن التكامل الاقتصادي بين الدول العربية فدولة ليبيا تحوز على مساحة معتبرة من التراب وفائض من القوة البشرية بينما تحوز دولة الكويت على أسماء المال المعطل فاجتماع هذه العوامل في إطار التكامل يحقق النهوض الاقتصادي (بن نبي، 1987، صفحة 102).

5.5. التوجيه الصناعي:

لا تقتصر نظرة مالك بن نبي الى الصناعة على مفهومها الشامل المتعارف عليه، بل يضيف اليها ما ذهب اليه ابن خلدون من اعتبارها الفن التطبيقي الذي يوائم كل نوع من المجتمع ويضرب مالك مثلاً في ذلك بمهنة الرعي فيقول " ومما يدلنا على القيمة الاجتماعية لهذه الحرفة المتواضعة الزهيدة أن لها مدرسة وطنية في فرنسا بمدينة (رامبولية) من ضواحي باريس، فلو رأينا الراعي الخريج من هذه المدرسة والراعي عندنا، يقود كل منهما قطيعه لعلمنا أي فرق بينهما" (بن نبي، 1986، صفحة 97).

6. خاتمة:

إن ما يمكن التوصل اليه كنتائج لهذه الدراسة التحليلية لفكر مالك بن نبي الحضاري هو أن الانسان محور أي بناء حضاري، فتكوين الانسان (عالم الاشخاص) ليصبح فاعل اجتماعي يؤثر ايجابا في المجتمع هو أحد أهم متطلبات الحضارة، غير أنه لا يمكن تكوين هذا الانسان إلا في ظل سياقه الاجتماعي والبيئي والزمني وهو ما أشار اليه مالك بن نبي من خلال تطرقه الى عوامل الزمان والتراب.

بعد بناء الانسان وبناء الافكار يصبح لزاما على أي مجتمع يسعى الى النهضة اعداد خطة نهضوية شاملة تقوم على أساس فكرة الاستثمار الاجتماعي في الموارد البشرية والمادية المتاحة دون إغفال خصائص المجتمع و خلفياته الدينية والأخلاقية، فالاستثمار الاجتماعي يساهم في تحقيق اقتصاد القوت ومن ثم السعي الى النهوض الاقتصادي الذي اعتبره مالك بن نبي المظهر المادي للحضارة .

إن الدارس لفكر هذا المفكر العبقري يجد أنه وضع أصبعه على علة المجتمعات، فسعيه الى كشف أسباب التخلف جعله في المقابل يضع منهاجاً فكرياً واجتماعياً واقتصادياً لمجتمعات العالم الثالث وبالأخص المجتمعات العربية والاسلامية الطامحة في النهوض شريطة أن يتم استغلال هذه الافكار مع مراعاة خصائص كل مجتمع، ويمكن

القول أن فكر هذه الشخصية يعتبر أحد أبرز محاولات التجديد الفكري من خلال سعيه إلى تشخيص أسباب التراجع الحضاري في العالم الإسلامي ومن ثم الوقوف على مقومات البناء الحضاري عبر منظور عام يشمل البعد الثقافي، و الاجتماعي، و السياسي وحتى الاقتصادي ولقد ركز المفكر على أهمية مفهوم القابلية للاستعمار داعيًا إلى بناء الإنسان الفاعل وتحرير الوعي، و إعادة تشكيل الثقافة على أسس أخلاقية و عقلانية، لذا نجد ان مشروعه الإصلاحى لم يكن مجرد نقد للواقع، بل تعدى ذلك الى تكوين رؤية حضارية لتحقيق النهضة المرجوة .

5. قائمة المراجع:

1. الطاهر سعود. (2006). التخلف و التنمية في فكر مالك بن نبي. بيروت: دار الهادي.
2. بشير ضيف الله. (2005). فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي. الجزائر: منشورات المجلس.
3. بشير ضيف الله. (2005). فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي. الجزائر: منشورات المجلس.
4. بوبكر جيلالي. (2010). البناء الحضاري عند مالك بن نبي. الجزائر: دار المعرفة.
5. فيروز صولة، و سميحة يونس. (2018). أسس النهضة والإصلاح الاجتماعي في فكر مالك بن نبي. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الصفحات 76-88.
6. مالك بن نبي. (1978). بين الرشاد و التيه. دمشق: دار الفكر.
7. مالك بن نبي. (1979). تأملات . دمشق: دار الفكر.
8. مالك بن نبي. (1986). شروط النهضة. دمشق: دار الفكر للطباعة و النشر.
9. مالك بن نبي. (1987). المسلم في عالم الاقتصاد. دمشق: دار الفكر.
10. مالك بن نبي. (1988). مشكلة الافكار في العالم الاسلامي. دمشق: دار الفكر.
11. مالك بن نبي. (1991). القضايا الكبرى. دمشق: دار الفكر.
12. مالك بن نبي. (2013). ميلاد مجتمع. الجزائر: دار الوعي.
13. محمد شاويش. (2007). مالك بن نبي والوضع الراهن. دمشق: دار الفكر.